مجلة "مدارات في اللّغة والأدب" الصادرة عن مركز مدارات للدراسات والأبحاث، تبسة–الجزائر.

المجلد:01.العدد: 04. السنة:2020.ص 322– 350
ISSN 2661-765x

الأدب الرقمي الموجه للأطفال– مقاربة مفهومية–

د. يوسف عمر*

جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.

البريد الالكتروني: rafeithaer1@gmail.com

ملخص البحث

تتأسس هذه المقالة على محاولة مناقشة إشكالية مصطلحات الأدب الرقمي الموجه للأطفال، وتحديد مفاهيمه، وفارقاته ومميزاته عن الأب الورقي، على اعتبار أنه جديد على خارطة الأدب، ويبحث عن حاضنة لمضامينه الأدبية؛ ويبدو أنّ الوسائط التكنولوجية والرقمية الحديثة قد تبنته بامتياز باعتبارها العنصر الجديد في العملية الإبداعية الأدبية شعرا ونثرا. مما أدى إلى كسر كثير من قواعد النظريات الأدبية؛ التي أسست على الحامل الورقي كوسيط اعتاده الإنسان منذ القدم، فالرقمية كحامل جديد للنص الأدبي بعيدا عن الحدود الخطية؛ تجلّت لتفتك صكّ اعتراف لهذا المسمى (الأدب الرقمي الموجّه للأطفال).

الكلمات المفتاحية: الأدب الرقمي؛ الأدب الإلكتروني؛ الثقافة الرقمية؛ الأدب التفاعلي؛ القصة التفاعلية

Abstract:

discuss the problem of children's digital literature terminology, and to defin**e its** concepts, its distinguishing and distinguishing features from the paper father, as new on the map of literature, and looking for a incubator for its literary content; modern technological and digital media seem to have excellently adopted it as the new element in the literary creative process. This has broken many of the norms of literary theories, which were based on the paper stand as a medium used by man since the time, since digital as a new bearer of the literary text away from the linear boundaries; it was shown to break a confession instrument for this title (digital literature for children).

Key words: Digital Literature; électronique Literature; Digital Culture; Interactive Literature; Interactive story

* المؤلف المرسل: د. يوسف عمر rafeithaer1@gmail.com

المنارة للاستشارات

ww

مقدّمة:

إنّ المقاربة المفهومية للأدب الرقمي بصفة عامة، تحيلنا على البحث والتقصّي في دعاماته التقنية؛ التي تدخل في صناعة الإنتاج الأدبي الرقمي، وتشكل الدور البارز في تحويل آليات التلقي من الحامل الورقي المطبوع، إلى الوسيط المرئي أو المسموع. هذا الأخير الذي يعتبر الحاضنة التي تفقس فيها مضامين الأدب الرقمي، إذ طوّع النصوص الأدبية لخصائصه المادية، ومنحها نوعا من التزاوج والتلاحم، وأعطاها "شكلا جديدا من التّجلّي الرمزي، باعتماد تقنيات التكنولوجيا الحديثة"[1]وهي حتمية تطوّرية أنتجها عصر المعلوماتية والانفجار المعرفي الهائل.

يعتبر الأدب الرقمي وفق ما سبق تجربة إنسانية ألحّت روح العصر على مجيئها، للاستفادة من معطيات هذا العصر، مع المعطيات القديمة؛ باعتبارها الحقيقة التي يُبنى عليها الجديد، وإلا ستتغيّر موازين النّمو والتطوّر الطبيعي، فالانتقال من الشفوية إلى الصناعة إلى الطباعة إلى الرقمنة أمر يلغي القول بالقطيعة بين الأدب في تجليه الأيقوني الرقمي، والأدب في شكله الطيني أو الشفوي، أو الورقي المطبوع، غير أنّ هذا الأخير وفي ظلّ عمر الأول الذي يوصف بعمر الطفولة مقارنة به، راح يبحث عن آليات تجديده لمواكبة التّدفق التكنولوجي الواسع الانتشار، الذي ضيّق عليه مساحاته، لصعوبة الحصول عليه وغلاء حامله، عكس الرقمي الذي لايزال يحبو؛ لتأسيس نظرية تخصّه، فقد منحه التدفق التّكنولوجية تأشيرة سفر سريعة عبر عوالم كلّ طرقها معبّدة، وإن تعدّدت ممهّلاتها وكثرت منعرجاتها، فذلك راجع إلى منظومة استفهامية حيكت أسئلتها ولاتزال حول آليات إنتاجه وتلقّيه على مستوى النظرية الأدبية.

وقد تتوسّع المنظومة الاستفهامية حيال الأدب الرقمي، حين تضاف له لاصقة جديدة، في محاولة لتوليد مشروع جديد اسمه: الأدب الرقمي الموجه للأطفال، كمشروع ثقافي إبداعي، فإذا كان

[1] – زهور كرام: الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات ثقافية، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ص: 23.

المنارة للاستشارات
ww

أدب الأطفال الورقي يعتبر جديدا على الأدب في طبيعته وغاياته ومصادره، فإنّ أدب الأطفال الرقمي "يعدّ أدبا شائكا لتعدّد وسائطه وأجناسه؛ ولارتباطه بشكل وثيق بمراحل نمو الطفل؛ ولارتباطه في كل مرحلة عمرية بنمط بأنماط السّلوك والتجارب"[1] غير أنّ الشافع في ذلك؛ هو كون المتلقّي الصغير أصبحت له علاقة بعصر المعلوماتية ووسائله وتطبيقاته بشكل يثير الدّهشة، كما هو الحال عند الكبار وأكثر، الأمر الذي يحتّم علينا تشغيل كاميرات المراقبة في كل وقت حيال الفتوحات التكنولوجية للتّقليل "من مدّها الجارف لعوالم الكتابة والإبداع للطفل بالخصوص، فإنّه يمكننا استثمارها وتحوير فوائدها لصالح انتشار النّص الأدبي الموجّه إلى الطفل، كما لا ينبغي أن نفضّل – ولو للحظة– قراءة النّص إلكترونيا، على القراءة الورقية؛ لأنّ للكتاب الورقي خصوصياته الكامنة التي لا ينبغي لكلّ البدائل التكنولوجية الحديثة أن تلغيها"[2] وبهذه المراقبة نعمل على تضييق الهوة بين الورقي والرقمي الموجّه للأطفال، والتقليل من فجيعة أزمة القراءة في عالمنا العربي التي تزداد حدّة يوما بعد يوم، وبخاصة في ظل العالم الافتراضي الجديد.

هذا، وقد تعدّدت مسميات الإنتاج الرقمي الموجّه للأطفال، ونعت بكثير من المصطلحات في ظلّ تعدّد مشارب الثقافات، ونشاط حركة الواردات فيه، كون منجزه غربيا برمّته، ممّا أحالنا إلى محاولة مناقشة إشكالية مصطلحاته، وتحديد مفاهيمه، متسائلين: لماذا تعدّدت مفاهيم الأدب الرقمي الموجه للأطفال؟ والبحث عن مميزاته وفارقاته عن الأدب الورقي الطّفلي، وهذا يسوقنا إلى تساؤل آخر: هل استطاع أن يثبت وجوده كجنس أدبي مستقل حقّا؟ وإن كان، فما هي ضرورته في هذا العصر؟ وأسئلة مفهومية أخرى ستتكفل المقالة بمتابعتها.

---

[1] – آشتي شوكت: القيم الاجتماعية في أدب الأطفال، ط1، دار النضال، (د، ب) 1999، ص:64.

[2] – علاوة كوسة: أدب الأطفال من الورقي إلى الرقمي، مجلّة قصيرة، (ركن: مقالات) متوفر على الموقع: https://www.qassira.com، تاريخ الرفع: 18-01-2019.

المنارة للاستشارات

1- أدب الأطفال الرقمي وسؤال المصطلح:

إنّ مصطلح (الأدب الرقمي) سواء في عمومه أو الموجه منه للأطفال، شابه الغموض كغيره من المصطلحات، وبخاصة تلك المعرّبة عن لغات أجنبية، وطاله التّعدّد الاصطلاحي، وبالتالي "تعدّد المفاهيم – وإن كانت في مجموعها- لها وشائج متينة بعضها ببعض"[1] فالحقل الثقافي عامة، والبحوث التي تناولت بالدراسة الأدب الرقمي خاصة، تعجّ بعديد المصطلحات التي تصف هذا اللون الإبداعي، في أطره الجغرافية، ممّا أوجد "فوضى في الاصطلاح والتسمية، فكلّ باحث أو دارس أو ناقد يفضل المصطلح الذي يتناسب مع رؤيته ومعرفته الخلفية، أو ينتقيه حسب البلد الذي يوجد فيه"[2] ممّا يؤكّد أنّ هذا المصطلح لا يزال غير مؤطّر بشكل نهائي، وتتجاذبه الأفكار والرؤى على مستوى الحقل الثقافي الفرنكفوني، والحقل الثقافي الأنجلوسكسوني، وفي التجربة العربية، وإن كانت هذه الأخيرة تستعمل المصطلحات الوافدة من الحقلين السابقين، مركّزة في ثقافتها على: النص الفائق، النص المتفرع، النص التفاعلي، النص المتشعب، النص الرقمي، النص المترابط، وغيرها، والنصّ المترابط استعملته المدرسة الأمريكية في أبجديات هذا الأدب، بينما ركّزت المدرسة الفرنكفونية على مصطلحي الأدب الرقمي، والأدب الإلكتروني، ونعت أيضا بمسميات أخرى متنوعة، ممّا يحتّم علينا مناقشة أهم المصطلحات والمفاهيم لضبطه وبالأخص عند ربطه بالطّفل؛ لأن عالم الطفولة مرتبط أكثر بالمحسوسات البصرية والمسموعة والحس حركية "في بنية ديناميكية متكاملة وتشكيل فني مبتكر ومشوق، يساعد الطفل على نمو ذوقه وشخصيته، ويتوافق مع احتياجاته النفسية، ويكسبه

[1] – طارق زيناي: إشكالية الأدب الرقمي. قراءة في الوسائط التواصلية، مجلة المدوّنة، العدد...مخبر الدراسات الدراسات الأدبية والنقدية، جامعة البليدة02، ديسمبر 2017ص:491.

[2] – جبل حمداوي: الأدب الرقمي بين النّظرية والتطبيق، ج1، ط1، شبكة الألوكة، 2016، ص:10.

المنارة للاستشارات
ww

قدراً من الثقافة والوعي، ويفتح أفقه نحو الجديد في عصر السرعة والمتغيرات المتلاحقة"[1] التي حوّلت كل شيء إلى صور رقمية، ومشاهد حركية، بما في ذلك الأدب الموجه للأطفال على الشاشة الزرقاء؛ التي تجمع بين الواقعية والافتراضية، لتوظيف كل الأجناس الأدبية الطفلية، في تجربة إبداعية يتجاوز فيها المتلقّي الصغير حدود الواقعية "ليكون مبدعا فيضفي ملامح جمالية وقيمية جديدة على المنتج الفنّي الرقمي لم تكن فيه ولم تكن في ذهن المبدع الأول، وبمثل هذا لا يعدّ الشاعر والقاص والروائي حاكما للنص قيّما عليه، بل إنّنا بصدد طغيان التفاعل الفنّي الرقمي للمتلقّي مع النص وما حول النص من الأبعاد السمعية والبصرية...وهذا التفاعل يكسب النص هوية جديدة مع كلّ تصفّح"[2] وقد ترتقي هذه الهوية مع ارتقاء القدرات الإدراكية التي تتطور مع مراحل الطفولة المختلفة، في تعاملها مع الآلة الرقمية وتطبيقاتها وبرامجها المختلفة.

1.1– الأدب الرقمي:(littérature numérique)

يشار إلى الأدب الرقمي بكلّ أجناسه على أنّه ناتج تزاوج الأدب مع التكنولوجيا، أو هو الأدب الذي يستخدم الإعلاميات في كتابته، وهذا يعني "أنّ الأدب الرقمي هو الذي يستخدم الواسطة الإعلامية أو جهاز الحاسوب أو الكومبيوتر، ويحوّل النص الأدبي إلى عوالم رقمية وآلية وحسابية"[3] تكون اللغة الإنسانية حاضرة فيها كما هو الحال في الحوامل الرقمية حضورا محوريا، بالاشتراك مع لغات افتراضية أخرى كلغات البرمجة التي تدخل هي الأخرى كلغات محورية، وهي عبارة عن أوامر مكتوبة على شكل رموزٍ تستند إلى قواعد معيّنة يفهمها جهاز الحاسوب ويقوم

[1] – محمد المسعودي: أدب الطفل الرقمي بين فريقين، جريدة الرياض، 09 نوفمبر 2017، ركن مقالات اليوم، متوفر على الموقع: http://www.alriyadh.com/1636503، تاريخ الرفع: 20-01-2019.

[2] – إياد إبراهيم فليّح، وحافظ محمد عباس: الأدب التفاعلي الرقمي، ط1، دار الكتب، بغداد، 2011، ص:19.

[3] – جمبل حمداوي: الأدب الرقمي بين النّظرية والتطبيق، ص:15.

المنارة للاستشارات

بتنفيذها بتوظيف خصائص الوسائط التي تجعل النّصّ مرئيا أو مسموعا أو الاثنين مها. فضلا عن إظهار البيانات والتركيز على شكل العروض على الشاشة بمتعة وانسيابية، تختفي معها الحدود التقليدية للقراءة والكتابة.

فنحن أمام حاضن جديد للأدب، تمّ تخليقه في رحم التكنولوجيا، التي تأثر بكلّ قيمها الجديدة من حيث موضوعاته، ولغته، وفنّياته التقنية، وغاياته الخطابية "عن طريق استجلاب الأدوات التي تحرك عناصر الإدراك البصري والسمعي بالمسموعات والمرئيات...فالنّص الرقمي يمكّن المبدع من توظيف الصورة والصوت، مضافا إلى الحرف على أساس البناء الداخلي"[1] وبخاصة عندما يوجّه مضمونه إلى الطفل الذي يصبح تجاه هذا الحاضن الجديد "قادرا على الحصول على المعلومات التي يحتاجها في أسرع وقت، وبأقلّ جهد؛ خاصة مع اتساع رقعة شبكات الأنترنت باعتبارها مدارس المستقبل"[2] مع الإشارة إلى أنّ الأدب الرقمي ليس بالضرورة ربطه بالشبكة العنكبوتية، وإنما شرطه الحاسوب بحجمه المعروف أو الأحجام التي تناهت عنه، عبر وسائط تكنولوجية متعدّدة بديلة عن الوسائط الورقية، وجميعها تتساوى في كونها وسائل تربوية تعليمية، واعتمادا على ذلك يمكننا تعريف أدب الطفل الرقمي على أنّه كل ما "يتشكل بحسب معطيات التقنية الرقمية، بتوظيف اللغة الرقمية والبرامج المتاحة داخل جهاز الكمبيوتر، بحيث يتضمن الصورة – الصوت – اللون – الحركة –الكلمة، في تشكيل فني، يساعد الطفل على نمو الذوق والشخصية، ويتوافق مع احتياجات

[1] – مشتاق عباس معن: ما لا يؤديه الحرف. نحو مشروع تفاعلي عربي للأدب، ط1، دار الفراهيدي، بغداد، 2010، ص:11.

[2] – زينب سالم أحمد: الطفل العربي والثقافة الإلكترونية، ط2017، دار أطفالنا للنشر، الجزائر، 2017، ص:18.

المنارة للاستشارات

عالم الطفل الشعورية والمعرفية"[1] فهو أدب شرطي مثله مثل الأدب الورقي بالنسبة للأطفال في مضمونه وتوافقاته.

2.1– الأدب الإلكتروني(Littérature électronique)

انتشر هذا المصطلح في الحقل المعرفي الفرنسي ومن يواليه في الثقافة الفرنكفونية، ومن الوهلة الأولى يتراءى لنا أن لا فرق بين الرقمي والإلكتروني، باعتبار المقصد العام، ولكن لب التسمية بين اللاحقتين في المجال اللغوي ينبئ بوجود فارقة بينهما، فالرقمي منسوب إلى الرقم، وتعتمد تسميته على الصيغ الرقمية الحاسوبية أو ما يسمى بالشفرة الثنائية(0-1) وهي طريقة التعبير أو تمثيل البيانات بشكل محدد والتي أساسها نظام العدّ الثنائي، وتُستخدم في الحواسيب كلغة أم نتعامل بها مع الحواسيب في معالجة النصوص والصور والأصوات والحركات، وهي هندسة برمجية تخصصية، وأمّا الإلكتروني "فيمثل المرحلة البدائية لاحتضان الحاسب الآلي للنصوص الإبداعية، لذلك يبقى هذا النص متّسم بالخطية؛ لأنّه لم يستثمر من تقنيات الحاسب الإلكتروني سوى احتضان النّص"[2] أي النّشر السّطحي بنقل النّص من عالمه الورقي المطبوع إلى عالم إلكتروني لكن دون تغيير في شكله أو مضمونه، فالفرق بين الورقي والإلكتروني هو الشاشة، غير أن الأدب الإلكتروني تشترك فيه عدّة قنوات لتوصيله إلى القارئ نذكر منها: الإيميل، الرسالة القصيرة، الفلاشات، بطاقات التخزين، ويبقى استقبال مضمونها عبر شاشة الحاسوب بشتى أنواعه، وتنتفي عنه التّفاعلية لجاهزية ما يقدّم،

[1] – السيد نجم: التقنية الرقمية ودورها في أدب الطفل، ورقة بحثية: مؤتمر (أدب الاطفال بين التراث والحداثة) أيام 20-21-22-2014/05/ الفيوم، مصر، متوفر على الموقع: https://middle-east-online.com، تاريخ الرفع: 22-01-2019

[2] – فطيمة ميحي: البنية الدلالية للشعر التفاعلي الرقمي، (رسالة ماجستير مخطوطة) جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012-2013، ص:29.

المنارة للاستشارات
ww

وعليه فالنص الإلكتروني في تسميته كذلك يعود "إلى طبيعة الوسيط الحامل له، إذ أصبح يقدّم عبر الوسيط الإلكتروني بعد أن كان يقدّم عبر الوسيط الورقي"[1].

3.1- الثقافة الرقمية (Culture numérique)

وفي أدب الطفل الرقمي استعمل المنظرون له، وبخاصة العرب منهم، مصطلحي الرقمي والإلكتروني بنفس المستوى المفهومي، وأكثرهم استعمل مصطلح(الثقافة الإلكترونية أو الرقمية) كبديل على ذلك؛ باعتبار أنّ الثقافة الطفلية أعمّ من الأدب الطفلي الرقمي، وأنّها في مضمونها تدل عليه، ومصادرها الموجهة للأطفال هي ذاتها المصادر الورقية وغير الورقية، ولكن تمّ تخزينها إلكترونيا، والأدب ضمن هذه الثقافة هو ظاهرة تقنية تمنح الطفل الاندماج مع مدخلات الوسائط وبخاصة في مجال التعليم من خلال الحواسيب وشاشات العرض، فهي إذن محاولة لتخطّي عتبة القيود الموجودة في الأدب الطفلي الورقي بإضافة مميزات مفيدة.

إنّ الكلام عن ثقافة الأطفال الرقمية ليس كلاما من قبيل اللّهو الفكري، وإنّما هو ضرورة حياتية، كونها ثقافة جزئية متفرّعة عن ثقافة المجتمع، وهي "تنفرد بمجموعة من الخصائص والسّمات العامّة وتشترك في مجموعة أخرى؛ ومادام الأطفال ليسوا مجرّد راشدين صغارا، فإنّ لهم قدرات عقلية وجسمية ونفسية واجتماعية ولغوية خاصّة بهم ومادامت لهم أنماط سلوك متميّزة، حيث إنّهم يحسّون ويدركون ويتخيّلون ويفكّرون في دائرة ليست مجرّد دائرة مصغّرة من تلك التي يحس ويدرك ويتخيّل ويفكّر فيها الرّاشدون؛ لذا فإنّ ثقافة الأطفال ليست مجرّد تبسيط أو تصغير للثّقافة العامّة في المجتمع؛ بل هي ذات خصوصية في كلّ عناصرها وانتظامها البنائي"[2] حيث يمتصّ الطفل عناصر تلك الثقافة الرقمية بطرقه الخاصة بما يلائم اتجاهاته وميوله، والحديث عن هذه الثقافة ليس مقطوعا عن الأدب الرقمي الطفلي؛ لأنّه جزء "من عملية تثقيف الطّفل، هذه العملية التي لا ينهض

[1] – فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي: ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006، ص: 75.

[2] – هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال (د، ط) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988، ص:30.

المنارة للاستشارات
ww

بأعبائها النّتاج الأدبي وإنّما هي تقوم على عاتق مؤسسات اجتماعية وتربوية أوّلها وأهمّها الأسرة والمدرسة ووسائط الاتصال المختلفة؛ التي تحمل فيما تحمله ثقافة موجّهة للطّفل يكون الأدب أحد عناصرها"[1].

ويندرج تحت الثقافة الرقمية الموجهة للأطفال، كل ما أنتجه وأخرجه الإنسان من بنايات وصناعات واختراعات وأفكار وعادات وقيم اجتماعية "فليست الثّقافة أدبا وفلسفة وفنّا جميلا فحسب؛ بل هي كل المعارف والفنون المتّصلة بالنّشاط الإنساني المنتج، وبتطبيقات العلم والتكنولوجيا...وغير ذلك من مظاهر الحياة اليومية..."[2]. ويتجلّى ذلك في الوسائط المكتوبة للأطفال التي تضم فضلا عن أدب الأطفال الرقمي بما يحويه من حكايات وقصص متنوعة وأغاني وتمثيليات وأشعار ومجلّات متخصّصة في الأدب الموجّه للطّفل، وقواميس وكتب وسير وتراجم، الوسائط المسموعة والمرئية التي "تتضمّن المسلسلات والحكايات والبرامج التي تعرض في الإذاعة، وبرامج التلفزيون على اختلافها: تربوية تعليمية، وثائقية ترفيهية، مغامرات تاريخية وبوليسية...والوسائط المجسّدة من مسرح أطفال ومسرح دمى على اختلاف موضوعاتها ومستوياتها، وكذا الفنون الجميلة وتتضمّن الموسيقى والأغاني للأطفال والفنون التشكيلية..."[3] وهذه الوسائط الفنّية والإعلامية والمكتبية والمعلوماتية مجتمعة في مضمونها القِيمي، تتكامل وظيفيا فيما تحمله إلى الطّفل من ثقافة رقمية، مشكّلة شبكة علائقية تستوعب الطّفل وتحيط به، "ممّا يجعل دورها في تحديد عالمه وتوجّهاته يفوق كل تصوّر أو نظرة سطحية. وهي في تكاملها تعزّز تأثير بعضها على

[1]– إسماعيل الملحم: كيف نعتني بالطّفل وأدبه، دار علاء الدّين، ط1، دمشق، 1994ص:06.

[2]– محمد السيد حلاوة: الرعاية الثقافية وأدب الطّفل(مدخل إلى أدب الطفل) (د، ط) دار المعرفة الجامعية الاسكندرية مصر، 2011، ص:18.

[3]– مريم سليم: أدب الطفل وثقافته، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2001، ص:30-31.

المنارة للاستشارات

البعض الآخر، ويتراوح هذا التّأثير ما بين التّوجيه الواعي والفعل الخفي الذي يتوجّه إلى أعماق نفس الطّفل ويتفاعل
مع قواها"[1].

غير أنّ هذا التأثير يتباين إلى حدّ كبير، فالبيئة الثّقافية مثلا ليس لها تأثير يذكر على النّمو الجسمي بقدر تأثيرها في النّمو الانفعالي والاجتماعي، فالانفعال هو استجابة يظهرها الطّفل أثناء تعرّضه للمثيرات التي تعترضه في شكل مواقف، وكلّ سلوك يبديه الطّفل تجاه كلّ موقف هو في الواقع استجابة انفعالية لها علاقة بهذا السّلوك؛ بمعنى أنّ السّلوك هو نتيجة للحركة التّفاعلية بين ثقافة المجتمع، والثّقافة الموجّهة للطّفل وشخصيته، التي تفكّر وتستجيب وفق ما تمليه عناصر ثقافته المعيشة وعناصر العالم المحيط به، إذ في تفاعله معها يكتسب عاداته وأفكاره وقيمه واتجاهاته.

إنّ ثقافة الطّفل الرقمية "هي هذه الشبكة الواسعة من الرموز والمعلومات الشاردة في الفضاء، المخترقة للحدود والمعايير التّقليدية للزمان والمكان، هذا النّمط من الثقافة لا يتطلّب التقاء مباشرا بين الفاعلين، بل يفترض تحويل المعنى من مجال إلى مجال، هي إذن أشباح، وأطياف ممارسات، ترتد وتقفز خارج حدود الواقع، إلى درجة استحال معها التمييز بين الواقع وغير الواقع..."[2] فهذا يتّصل بواقع متغيّر يكتسب وصفه وتوصيفه من خلال تفحّص النّظرة والاهتمام بثقافة الطّفل العامة في بلادنا وفي العالم العربي، وكذا معاينة دور كلّ مؤسّسة تحمل أعباء هذه الثّقافة، سواء كانت اجتماعية أم تربوية، أم إعلامية، وسواء كانت رسمية أو غير رسمية، فضلا عن الفعاليات التّثقيفية أو ما يسمّى بالآليات عبر الوسائط المتعدّدة لثقافة الأطفال، ووسائل الاتّصال، والتّواصل مع جماهير الأطفال أي الصّورة التي يتحقّق بها البناء الثّقافي للأطفال الذي يشبه إلى حدّ بعيد "بناء برج مرتفع كل حَجرة تضاف إليه، أساسية وضرورية، وذات أهمّية في تشييده، لا يمكن الاستغناء عنها، والبرج

[1] – المرجع نفسه، ص:31.

[2] – الجمّوسي جوهر: الثّقافة الافتراضيّة، ط1، الشركة التونسية للنشر، تونس، 2006، ص: 85

المنارة للاستشارات
ww

الثّقافي، يحتاج أوّل ما يحتاج، أجهزة تربوية مؤهّلة تأهيلا جيّدا، ومن دونها لا يمكن البناء على الإطلاق..."[1]. ذلك أن الخطر الأكبر في حياة المجتمع يتمثّل في جهل المربّين بالأصول العلمية للتّربية، وتثقيف الطّفل. ففي تربية الأطفال "قانون صارم هو أنّه إذا كنت لا تربّي تربية علمية صحيحة فأنت تربّي تربية خاطئة، والتّربية الخاطئة تؤدّي إلى تدمير الأطفال نفسيا وعقليا واجتماعيا. وبناء على هذا القانون التّربوي فإنّ أيّة تربية نقدّمها للطّفل تلحق به الأذى وتدمّره إذا لم تكن تربية علمية"[2]؛ أي أنّ هذه التّربية لابدّ أن تقوم على وعي أصيل ينبع من معطيات علم الطّفولة وعالمها.

وعليه، فإنّ أمر ثقافة الأطفال الإلكترونية أو الرقمية لم يعد مقصورا على طريقة صناعة هذه الثقافة، أو استيعاب مضمونها، أو على اختيار النص المناسب لمراحل الطفولة، ولم تعد المسألة مسألة صورة ولون، أو مسألة نطق وأنسنة، بقدر "ما جلبه التّطور التكنولوجي والإلكتروني من أشكال وأفكار ومشاكل جديدة لأطفالنا، وينبغي على صانعي ثقافتهم الجديدة استيعابها أولا ثمّ طرح مضامين جديدة تناسب هذه الأشكال، والتفكير في الشكل الملائم لطبيعة الطفل الجديد الذي يجيد التعامل مع الحاسبات الشخصية، ويستوعب طريقة تشغيلها بسرعة مذهلة، وبصورة أفضل بكثير من الكبار، وبطريقة تدعو إلى التأمّل في القدرات الذهنية والعقلية والإدراكية التي يتمتع بها طفل العصر الحديث"[3] في تعامله مع البرامج التطبيقية والترفيهية والتعليمية والتثقيفية، التي تعكس في النهاية صورة الثقافة الجديدة الموجهة للأطفال.

4.1– الأدب التفاعلي(Littérature interactive)

[1]– عبد اللطيف الصّوفي: فن القراءة، ط2، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 73 .

[2]– سمير عبد الوهاب أحمد: أدب الأطفال (قراءات نظرية ونماذج تطبيقية) ط2، دار المسيرة، عمّان، 2009، ص:33.

[3] – أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال فنّ المستقبل، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2010، ص:268-269.

المنارة للاستشارات

مصطلح آخر تواجد بكثرة في الكتابات النّقدية للإنتاج الأدبي الموجّه للأطفال، وهو جنس أدبي يبدو أنّه جديد بالنظر إلى خصائصه الكتابية والقرائية، شرطه الاتصال بالشبكة العنكبوتية، وميزته الأبرز التفاعلية، فهو "الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية، ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني، أي من خلال الشاشة الزرقاء، ولا يكون هذا الأدب تفاعليا إلا إذا أعطى المتلقي مساحة، تعادل أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي"[1] أي أنّه يجمع بين نشاط كاتب الأطفال بصفته مبدعا في جنس من الأجناس الأدبية، ونشاط الطفل باعتباره متلقّيا لجميع الأجناس أيضا، وهذا يحتّم "أن يكون المبدع والمتلقي متمّكنين من استخدام الحاسوب بمهارة، وفهم لغته وبرامجه دون الشعور بحواجز نفسية على الأقل بينهما وبين الوسيط الذي ينقل عبره المبدع إبداعه إلى المتلقّي، ويتلقّى هذا الأخير بالوسيلة نفسها، هذه الرسالة، ويمكن الاستعانة في هذا المجال بالمتخصّصين في مجال الكمبيوتر"[2] لإنشاء علاقة تفاعلية بين مجموعة من العناصر، ففضلا عن المبدع والمتلقّي هناك عناصر أخرى تنشّط عملية التفاعل وهي: النص مهما كان موضوعه الأدبي ولغته التي هي لغة المبدع والمتلقّي معا، الصورة بمختلف ألوانها حسب تدرّج تفضيلها والتي قد تغني في كثير من الأحيان عن الكلمة، الصوت، الحركة سواء كانت متصلة أو منفصلة، والحاسوب الذي يعتبر حاضنة كل ذلك.

وعليه فالكاتب الذي يوجّه إنتاجه للأطفال عبر الرقمية لابد أن يتغيّر، فلم يعد كافياً أنْ يمسك.

قلمه ويخط الكلمات على دفاتره؛ بل أنْ يكون شمولياً، وأن يكون مُبرمِجاً، وعلى إلمام واسع بتقنيات الحاسوب ولغة برمجته "وأن يخاطب الطفل بنفس لغته، ذلك أن الكتابة هي فعل جدلي بين

[1] – فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص: 49.

[2] – العيد جلولي: نحو أدب تفاعلي للأطفال، مجلة الأثر، مجلد: 10، عدد: 10، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 31-03-2011، ص: 238.

المنارة للاستشارات

طرفين، الكاتب من جهة والقارئ من جهة أخرى، فاذا لم يتقن الكاتب لغة القارئ أو لم يفهم القارئ لغة الكاتب اختلّت العلاقة في الفعل الكتابي نفسه"[1] وانتفت بذلك التّفاعلية، فطفل هذا العصر لم يعد ذلك المتلقّي المستهلك، وتجاوز في عصر التكنولوجيا عهد الصندوقية الواردة للمواد الأدبية، إلى التّصدير بتفاعله مه النّصوص بالإيجاب أو السّلب، على الرغم من أن الأدب التفاعلي الموجّه للأطفال لم يتجاوز بعدُ عتبة الإشكالات، رغم تجليه في الوسائط الرقمية التّفاعلية.

وعلى الرغم من أنّ مصطلح (التّفاعلية) هو مصطلح شائع أكثر في مجال الكيمياء وفي بعض الأوساط الفيزيائية، فقد منحه المجال الأدبي الورقي، تأشيرة سياحية إلى أبجدياته المصطلحية، بينما منحه الأدب الرقمي تأشيرة إقامة، ومنحه صفة اللاحقة الرسمية: القصيدة التّفاعلية، الرواية التفاعلية، المسرحية التّفاعلية، المقالة التّفاعلية، وكلّها تحت تسمية الأدب التّفاعلي، أو الأدب الرقمي التّفاعلي، وفق الشروط الملزمة التالية[2] :

- أن يتحرر مبدعه من الصورة النمطية التقليدية لعلاقة عناصر العملية الإبداعية ببعضها.
- أن يتجاوز الآلية التقليدية في تقديم النص الأدبي.
- أن يعترف بدور المتلقي في بناء النص, وقدرته على الإسهام فيه.
- أن يحرص على تقديم نص حيوي, تتحقق فيه روح التفاعل, لتنطبق علية صفة (التفاعلية).

فهذه الشروط تزيد من عدد جمهور الأطفال المتفاعلين مع النّصوص الموجّهة إليهم، بحسن توظيف الحاسوب لإنتاج نصوص أدبية جديدة، والتفاعل مع منتجها عن طريق وسائط التّواصل، كتطبيقات المحادثة والبريد الإلكتروني، والرسائل القصيرة، وإن كانت في مجملها تشكّل عبئا على

[1] – محمد سناجلة: الرواية الرقمية تفرض حضورها على أدب الطفل في ضوء التطورات التقنية، جريدة الوسط البحرينية، العدد: 4975، 20-04-2016، متوفر على الموقع: http://www.alwasatnews.com.

[2] – فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص:50.

المنارة للاستشارات

المتلقي الجديد، وهو المبدع؛ لأنه وإن استقبلها لا يمكنه الرّد عليها لكثرتها، على عكس الإنتاج الورقي الذي تكون تغذيته الراجعة عبر الصفحات الورقية، أو المقابلة المباشرة الآنية، وهي واحدة من الفروق بين الرقمي والورقي، فالإقبال الجماهيري "على النّصوص المقدّمة عبر الوسيط الإلكتروني، والتي تعتمد على تفعيل دور المتلقي من خلال الأدوات التكنولوجية الموظفة فيها، تستطيع استقطاب عدد أكبر من المتلقين، وأنّ إجراء مقارنة بينها وبين النصوص الورقية، أو حتى النّصوص السمعية البصرية، لن تكون نتائجه إلا في صالح النّصوص التّفاعلية"[1] وهذا يحيلنا إلى تمييز التفاعلي عن الورقي في النقاط

الفارقة الآتية[2].

– يقدم (الأدب التفاعلي) نصا مفتوحا, نصا بلا حدود, إذ يمكن أن ينشئ المبدع, أيا كان نوع إبداعه, نصا, ويلقي به في أحد المواقع على الشبكة, ويترك للقراء والمستخدمين حرية إكمال النص كما يشاؤون.

– يمنح (الأدب التفاعلي) المتلقي/ المستخدم فرصة الإحساس بأنه مالك لكل ما يقدمه على الشبكة, أي أنه يعلي من شأن المتلقي الذي أهمل لسنين طويلة من قبل النقاد والمهتمين بالنص الأدبي, والذين اهتموا أولا بالمبدع, ثم بالنص, والتفتوا مؤخرا إلى المتلقي.

– لا يعترف (الأدب التفاعلي) بالمبدع الوحيد للنص, وهذا مترتب على جعله جميع المتلقين والمستخدمين للنص التفاعلي مشاركين فيه, ومالكين لحق الإضافة والتعديل في النص الأصلي.

– البدايات غير محددة في بعض نصوص(الأدب التفاعلي), إذ يمكن للمتلقي أن يختار نقطة البدء التي يرغب بأن يبدأ دخول عالم النص من خلالها, ويكون هذا باختيار المبدع الذي ينشئ النص أولا, إذ يبني نصه على أساس أن لا تكون له بداية واحدة, والاختلاف في اختيار البدايات

[1] – عبير سلامة: النّص المتشعب ومستقبل الرواية، (د، ط) هيئة الكتاب المصرية، مصر، 2008، ص: 31.

[2] – فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص. ص: 50-53.

المنارة للاستشارات
ww

من متلق لآخر يجب أن يؤدي إلى اختلاف سيرورة الأحداث, (في نص الروائي, أو المسرحي, على سبيل المثال) من متلق لآخر أيضا, وكذلك في ما يمكن أن يصل إليه كل متلق من نتائج.

– النهايات غير موحدة في معظم نصوص (الأدب التفاعلي) فتعدّد المسارات يعني تعدّد الخيارات أمام المتلقي/المستخدم، وهذا يؤدّي إلى أن يسير كل منهم في اتّجاه يختلف عن الاتجاه الذي يسير فيه الآخر، ويترتب على ذلك اختلاف المراحل التي سيمرّ بها كل منهم، مما يعني اختلاف النهايات، أو على الأقل، الظروف المؤدية إلى تلك النهايات وإن تشابهت أو توحّدت.

– يتيح (الأدب التفاعلي) للمتلقين/المستخدمين فرصة الحوار الحي والمباشر، وذلك من خلال المواقع

ذاتها التي تقدم النّص التفاعلي...إذ بإمكان هؤلاء أن يتناقشوا حول النص، وحول التطورات التي

حدثت في قراءة كل منهم له.

– إن جميع المزايا السابقة تتضافر لتنتج هذه الميزة، وهي أن درجة (التفاعلية) في (الأدب التفاعلي)

تزيد كثيرا عنها في الأدب التقليدي المقدم على الوسيط الورقي.

– في (الأدب التفاعلي) تتعدّد صور التفاعل، بسبب تعدد الصور التي يقدّم بها النص الأدبي نفسه إلى المتلقي/المستخدم.

2– الأدب الرقمي الطفلي والجدلية المفهومية لنصوصه:

في البدء لابدّ من الإشارة واستنادا إلى ما سبق، أنّ "هناك حماسة كبيرة في الغرب لصناعة "الأدب الإلكتروني" أو "الأدب الرقمي" أو "الأدب التّفاعلي" وقد استخدمتُ " أو" لتأكيد أنّ تحديد معنى المصطلح لم يعد عند صناع الأدب مشكلة، فكلّ مصطلح قد يحلّ مكان الآخر،

المنارة للاستشارات
ww

ويتّخذ المواصفات نفسها لهذا الآخر، بل باتت المشكلة في تخطي السابق لتحقيق فعالية أكبر، فالتقنية لا تقف عند حدّ معيّن، وكذلك الأدب لن يقف عند حدّ معيّن، فقد صارت الوسيلة الأكثر فعالية هي حفز الخيال والعاطفة معا لخلق المعنى الخاص بكل قارئ"[1] وبخاصة في مجال أدب الأطفال، وإن كنت أحبذ (الأدب التفاعلي) لأنّ التّفاعلية من صفات الأطفال "فإذا قام الأديب المحترف الذي يتوجّه بأدبه للأطفال بترك فرصة للطفل أن يشاركه الكتابة، وأن يتدخّل حيث يجب التّدخل، وأن يتفاعل معه عبر هذا الفضاء مستخدما الصورة والصوت واللون والحركة فإنّنا بذلك نخلق أدبا تفاعليا للأطفال ونخرج من أزمة المصطلحات وإشكالية المسميات"[2] بالتّحول المباشر من هذه الأزمة إلى خرائط الإبداع الأدبي، ومن المسكن الورقي إلى محيط أوسع، هو البيت العنكبوتي الذي توفّره شبكة الأنترنت، وانتقال النّص الورقي الموجّه للأطفال الذي تحكمه سلطات متعدّدة بدءا بمنتجه فناشره فرقيبه فمؤسسة نشره، ثمّ مؤسسة توزيعه، هذا إن لم تتدخل سلطة القانون والسياسة في مضمونه وشكله، إلى الرّقمية التّفاعلية التي ستكون لا محالة منطلقا فعّالا في تقديم هذا الأدب الجديد لأطفالنا، ولكن رغم إيجابياتها ستصنع لنا جدلية جديدة على مستوى النّص كبديل للمصطلحات السابقة والتي سنعالج مفاهيمها في مصطلحين شائعين بعجالة كالآتي:

1.2- النصّ المترابط أو المتشعّب: (Hypertexte)

توظف أبجديات المقاربة الأمريكية هذا المصطلح لوسائطها الفنّية والأدبية وحتى الإعلامية "على أساس أنّ النّص الأدبي يترابط مع مجموعة من النّصوص التّفاعلية الأخرى التي تتشكّل من مكوّنات آلية وتقنية وإعلامية وبصرية وصوتية"[3] فالحاسوب كوسيط جديد يختلف اختلافا كبيرا عن الآلات التقليدية التي تنتج نصا خطّيا وفقط؛ لأنه يتكون من مجموعة كبيرة من البرامج التي يضطلع

[1] – إبراهيم أحمد ملحم: الأدب والتقنية مخل إلى النقد التفاعلي، ط1، عالم الكتب، الأردن، 2013 ، ص.ص:16-17.
[2] – العيد جلولي: نحو أدب تفاعلي للأطفال ، ص: 248.
[3] – جمبل حمداوي: الأدب الرقمي بين النّظرية والتطبيق ، ص: 11.

المنارة للاستشارات
ww

كل منها بوظيفة مختلفة ، ويمكن مع ذلك ترابطها لأداء مهمة محددة في العمل الأدبي اسمها: النّص المترابط، الذي يترابط فيه الشفوي بالكتابي بالصوري بالحركي، وكل ذلك "يتحقّق من خلال الحاسوب، وأهمّ ميزاته أنّه غير خطّي لأنّه يتكون من مجموعة من العقد أو الشّذرات التي يتّصل بعضها ببعض بواسطة روابط مرئية، ويسمح هذا النصّ بالانتقال من معلومة إلى أخرى عن طريق تنشيط الروابط التي بواسطتها نتجاوز البعد الخطّي للقراءة"[1] مما يتيح للمتلقي الصغير حرية اختيار الطريقة التي تناسبه أثناء القراءة، عن طريق النّقر بالفأرة أو الضغط على المفاتيح، وقد تضاف عليه جمالية الفقاعات التي تحوم حول المنطقة الدّالة، واحيانا مصحوبة بصوت متناغم جذاب للأطفال مما يجعلهم يتابعون التفاعل بمرح.

2.2– النص الشبكي(Cybertext)

يبدو من خلال مفهوم النص المترابط، أن هذا الأخير أقدم في التّواجد من النّص الشبكي الذي يسميه بعض النّقاد في مجال النقد التفاعلي النص السبرنيطيقي، فإذا كان الأول يدل على تنظيم النص، وكيفية بنائه من خلال ترابط عناصره ومكوناته، فإن النص الشبكي "يتخذ بدوره دلالة خاصة تتصل بشكل بنائه وطبيعة تشكله، إلا أنه يعطينا بعدا أعقد من الدلالة التي يتضمنها النص المترابط. ولذلك يعتبر بعض الباحثين أنه جاء ليشكل تطويرا للنص المترابط وتجاوزا له في الوقت نفسه. إن مفهوم النص المترابط والسيبرنص يتأسسان في علاقتهما بالفضاء في صوره

[1] – سعيد يقطين: من النّص إلى النّص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005، ص: 264.

المنارة للاستشارات
ww

المختلفة"[1] والنصّ الشبكي تمّ توظيفه في الثقافة الأوروبية وهو النّص "الذي يحيل على البرمجة الذّاتية والآلية والأوتوماتيكية، وعلى مؤلفات الأنترنت ومفهوم الشبكة. بيد أن هذا المصطلح يقصي ما يسمى بالأقراص المدمجة، ويتعالى عن الكثير من المرفقات والإنشاءات الإلكترونية الأخرى"[2].

وفي ظل هذا التطور الهائل في التكنولوجيا الذي أثر في كل نواحي الحياة المتصلة بالراشد أو الطفل الصغير، بما فيها الساحة الثقافية، ظهرت أنواع كثيرة من المصطلحات تدل في مضمونها على الأدب الرقمي، ففضلا عما تمّ ذكره، هناك مصطلحات أخرى دالة على ذات الحقل سأكتفي بذكرها، لأن المساحة لا تكفي لتشريحها: أدب الصورة، الأدب الديجتالي، الأدب الآلي، الأدب الروبوتي، الأدب المبرمج، الأدب الحاسوبي، الأدب الإعلامي، الأدب الويبي، الكتابة الأنترنتية، الكتابة الفيسبوكية، النّص المفتوح، والنّص الهاتفي، وغيرها من المسميات، وكلّها مصطلحات لا يهمّنا كثيرا تواجدها بكثرة على ألسنة المستخدمين مادامت تتفق في الوظيفة، وإنّما المهم بصفتها حاملا للأدب الرقمي الموجه للأطفال، الذي يمكن حصر مفهومه وفق ما تمّ تقديمه في كونه "توليفة من المؤثرات اللسانية وغير اللسانية، حيث تتغير فيه أطراف المنظومة الإبداعية ويتجدد فيه الجهاز المصطلحي؛ ليصبح بذلك المبدع منتجا والقارئ مستخدما، وتختلف فيه عمليتا القراءة والكتابة. فهو تجلٍّ جديد للأدب بمظهر مغاير تماما يتمثل في الشق المادي الذي يعتمد على معطيات وعناصر جديدة على المادة الأدبية بصورتها التقليدية المتكئة على الكلمة، من قبيل الصوت والصورة حيث تمتزج هذه العناصر في توليفة جريئة تقوّض نظرية الأدب وأجناسيته لتقترح أسئلة جديدة تشكل أدبية جديدة"[3] ولايزال البحث في الدرس الأدبي الرقمي الموجه للأطفال بحاجة لحفر أعمق

[1] – سرديلت سعيد يقطين، متوفر على الرابط : http://www.saidyaktine.net، تاريخ الرفع: 25-01-2019.

[2] – جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النّظرية والتطبيق، ص:12.

[3] – خديجة باللودمو: الأدب الرقمي العربي الموجه للأطفال (دراسة في المنجز النقدي) رسالة دكتوراه مخطوطة، جامعة ورقلة، 2017-2018، ص:107.

المنارة للاستشارات

في جوهره لرفع اللبس عنه في ظل معارضة الكثيرين له، واتهامه بالخطر القادم نحو الأدب الورقي حدّ وصفه بالخرافة.

3– حضور أدب الأطفال الرقمي على الشاشة الزرقاء:

إنّ المتتبّع للمشهد الأدبي الطفلي في الجزائر وفي غيرها، سيكتشف لا محالة تراكما في المواد الإعلامية والأدبية الموجهة للأطفال في كلّ مراحلها، وعلى مختلف وسائطها، عبر الشبكة العنكبوتية وعلى شاشات الحاسبات، وهو مظهرها الرقمي، يمكن أن نجلي بعضها في الآتي:

- موقع شمعة: شبكة المعلومات العربية التربوية(موقع أدبي نقدي)shamaa.org
- موقع (تعلّم)www.taalam.org –
- إسلام ويبkids.islamweb.net/kids/ar
- موقع starfall more.starfall.com
- موقع نفهم نتعلم ببساطة www.nafham.com
- موقع عصافير: قصص أطفال مصوّرة مقروءة 3asafeer.com
- موقع: أ ب ت تعليم العربية للأطفالwww.alefbata.com
- موقع: كيدز دوت جو kids.jo/main
- موقع Funbrain www.funbrain.com
- مجلة العربي الصغيرalarabi.cld.bz
- مجلة فارسfaresmagazine.com
- دار الحدائق www.alhadaekgroup.com
- موقع تمور نت لقنوات الأطفالtomor.net/tv-children.aspx
- موقع ناشيونال جيوغرافيك للأطفالkids.nationalgeographic.com

المنارة للاستشارات
ww

- الروافد: منصة إلكترونية ثقافية تفاعلية http://arrafid.ae

فضلا على هذه المواقع هناك مواقع كثيرة للكتاب الإلكتروني الموجه للأطفال، والأقراص المدمجة، والصالونات والمنتديات الأدبية، ومؤتمرات التعليم الرقمي، وجوائز أدب الطفل، وكلها مواقع تحتاج للدراسة والنّقد للوقوف على شروطها ومواءمتها لمراحل الطفولة.

4- القصة الصوتية التّفاعلية: أنموذج تطبيقي:

يبدو أنّ عصرا جديدا قد بزغ وأنه لا جدوى من حشو رؤوس الأطفال بمعلومات كثيرة "خاصة وأن التطور التقني والمعرفي الرهيب جعل من الحصول على المعلومات غالبا لا يشكل أية صعوبة، كما لن يشكل امتلاك المعلومات في المستقبل فارقًا جوهريًا بين الأمم والأفراد، وإنما سيكون التميز مرتكز أساسا على مهارات المجتمع في استخدام المعلومات وتحليلها وتوظيفها، ولذا فإن تنمية المهارات العقلية العملية لدى الأطفال ستكتسب أهمية بالغة"[1] وهنا يبرز دور كاتب الأطفال وهو يكتب لطفل هذا العصر، وفق قواعد وصفات أدب الأطفال التّفاعلي؛ لأنه أدب شرطي ومحفوف بالصعوبات، ولاشكّ في أنّ أدب الطّفل الرقمي صار من أبرز الأدوات الفنّية في تنشئة الطّفولة ومن أهمّ وسائل التّربية على القيم الأصيلة، والمبادئ الإسلامية النّبيلة، ومن أرقى وسائط الثّقافة للمعرفة والاستكشاف، وتنمية الإبداع؛ أجلَ مدّ الطّفل حقّه من الثّقافة، وبناء شخصيته وإعداده للمستقبل، على اعتبار أنّه الطّاقة البشرية الأساسة في المجتمع، ولا يتأتّى ذلك إلا بمنحه فرصة التفاعل مع الثقافة الرقمية الموجهة له.

ولعلّ من الجهود التي أحسبها بارزة في مجال أدب الطفل التفاعلي، تجربة الأديبة التونسية

[1] - أحمد قرني: كتابة جديدة لطفل المستقبل، مجلة: الروافد الرقمي (مِنَصّة إلكترونية ثقافية تفاعلية) متوفر على الموقع: http://arrafid.ae، تاريخ الرفع: 28-01-2019.

المنارة للاستشارات
ww

المتميّزة عائشة المؤدِّب[1] في مجموعة قصصها السمعية التّفاعلية، والتي سأختار منها القصة أعلاه، وهي قصة تعتمد على السرد الرقمي، في تشكيل بنيته على الصوت والصورة واللون، وتتميز لغته بالسرعة أحيانا، وبالمباغتة أحيانا أخرى، ومعظم الجمل اللغوية فيه قصيرة، مما قلّص حجم القصة وقلّل من كثافتها الخطية التي كانت على الورق، وهي أمور تقنية جعلت الكاتبة من خلال دار الإنتاج (شركة أوديو لابي التونسية) أن تكون على دراية بتقنيات الحاسوب وبرمجياته، وإتقان فن الإخراج.

والمسرحة الرقمية، بتوظيف الصوت والموسيقى، الصورة واللون، والحركة.

– الصّوت والموسيقى:

وظّفت الكاتبة الموسيقى كفاتحة صوتية لقصتها؛ ذلك أنّ الموسيقى ترتبط عند الطفل بالصوت الحسن الذي "يجري في الجسم مجرى الدّم في العروق فيصفو له الدّم، وتنمو له النّفس، ويرتاح له القلب، وتهتزّ له الجوارح، وتخفّ له الحركات"[2] بطريقة مباشرة، فبمجرد فتح الشاشة والضغط على عنوان القصة برابط أحادي المدخل، تتفجر فاتحتها موسيقى، وهو خطاب صوتي محمّل بكثير من المعاني والدلالات، لشد انتباه الطفل وإثارة تشوّقه وتهيئته للتّلقي الإيجابي، ثم يتجلى صوت السارد أو الحكواتي أو المذيع، وقد كانت الكاتبة موفقة حين استعملت الصوت النّسائي؛ لأنّه شبيه بالموسيقى في رسالة ترحيبية (أصدقائي الصّغار، مرحبا بكم في قصة جديدة، بعنوان:

[1] – كاتبة وأديبة وشاعرة تونسية، مهتمة بأدب الطفل وملتقياته كتابة وتنظيما وتحكيما، وتكتب له الشعر والقصة والمسرح، من إنتاجها للأطفال: قصة شعرية: القوس العجيب 2015، مجموعة قصص سمعية تفاعلية للأطفال 2016، قرص ليزري غنائي للأطفال 2016، مشرفة نشيطة لسنوات عدة لـ: كورال الأطفال ونوادي المطالعة. من إصداراتها الورقية: ديوان قصائد من أرض تونس 2007. ديوان ظلي بقعة حبر 2010. رئيس فرع اتحاد الكتاب بسوسة، ورئيسة جمعية الأجيال للمسرح والموسيقى.

[2] – أحمد زلط: أدب الطّفل العربي دراسة معاصرة في التّأصيل والتّحليل، ط1، دار هبة، مصر، 1998، ص:121.

المنارة للاستشارات

الغابة السعيدة) بمستوى صوتي محبّب للصغار، ثمّ تقدّم الراوي القارئ، وكاتبة القصّة. وتطلب من الأطفال حسن الإصغاء، ومحاولة الإجابة عن الأسئلة. وهنا يبدأ التفاعل الكامل نتيجة الخيال التثويري الذي تركته المذيعة في مخيلات الأطفال.

استطاعت الكاتبة بعد هذه المقدّمة في قصتها التّفاعلية هذه، أن تحقّق قفزة نوعية "تتمثل في تحويل النّص إلى مشهد كتابي سمعي بصري، يستحيل على أي كتاب ورقي أن يخرجه، حيث يملك النّص الكتابي حرية الحركة، ليس فوق الخلفية فحسب؛ بل وكذلك داخل نوافذ أو إطارات مختلفة"[1] وتملّك الرّاوي لسانها ليحكي بالصوت المصاحب للكتابة قصة(الغابة السعيدة) والأجمل في كل ذلك أنها نقلت أصوات الكناري، البلبل، العندليب، والحسون من الطبيعة مباشرة ووظفتها صوتيا باستعمال تقنيات الصوت التكنولوجية "والسّمع هو الحاسّة الطّبيعية التي لابدّ منها لفهم تلك الأصوات"[2] لذلك عنيت الكاتبة في كلّ مراحل قصتها التّفاعلية بالصّورة الصّوتية، فاستعملت في تشكيلها أصوات الطيور القريبة من الطّفل. مع مقطوعات موسيقية أخرى مصاحبة للأحداث.

– الصورة واللون:

وظفت الكاتبة باستعمال التقنيات والبرامج الرقمية على الحاسوب الصورة بشكل واضح للأطفال، حيث يتجلى منذ بداية القصة مشهد صورة "لا تخلو بحال من اللّون فيها، من أحمر

[1] – إبراهيم أحمد ملحم: الأدب والتقنية مخل إلى النقد التفاعلي ، ص: 69.

[2] – إبراهيم أنيس: الأصوات اللّغوية (د، ط) مطبعة نهضة مصر، مصر (د، ت) ص:14.

المنارة للاستشارات
ww

وأبيض وأخضر وغيرها من الألوان المركّزة والخفيفة"[1] لتبدأ بعد ذلك لعبة السرد، ويبدو أن الكاتبة تنتمي للاتجاه التربوي، وهو اتّجاه يركز في كتاباته الموجّهة للطفل على الألوان التي تجعل الصورة قريبة من الأطفال، أين يكون "اللّون الأحمر هو المفضّل عند الأطفال، يليه اللّون الأصفر، ثمّ الأزرق فالأخضر، وينفعل الأطفال الذين تقع أعمارهم بين نهاية مرحلة الرّضاعة وسن ما قبل المدرسة باللّون الأحمر كثيرا، في حين يكون اللّون الأصفر أقلّها تفضيلا لديهم، وحين يصل الأطفال إلى العمر المدرسي(ست سنوات) يصبح اللّون الأزرق هو المفضّل لديهم"[2] ويزداد حظ هذه الألوان ميلا ومعرفة وتسمية مع تزايد الخبرات والتّعلّم؛

ونلاحظ من خلال مشاهد القصة أنّ عائشة المؤدب أشاعت الألفة بين المعنى واللّون بما يتّفق مع الغرض الرقمي للموضوع، وكان للطّبيعة أثر واضح الثّراء اللّوني عندها، مما يحقق جمالية النّص الرقمي الموجه للأطفال " ذلك أن الطفل بطبعه يميل إلى مشاهدة الصّور والتّساؤل عن كل جزئيّة فيها، أما حين صارت الصّورة متحرّكة فإنّها تفجّر بركان أسئلته وتستفزّه لمعرفتها وفهم أعمق لها. وبالتالي فإن المستوى البصري ليس إلا قيمة جمالية من الواجب احترامها"[3] وهو ما فعلته الكاتبة في مضمون قصتها.

– الحركة والحرية

يوصي المهتمون بأدب الأطفال عموما، أن يكون هذا الأخير مشحونا بالمرح ولا ويتحقّق

[1] – المرجع نفسه، ص:226.

[2] – شاكر عبد الحميد: التفضيل الجمالي (دراسة في سيكولوجية التّذوق الفنّي) المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت 2001، ص:241.

[3] – خديجة باللودمو: الأدب الرقمي العربي الموجه للأطفال ، ص: 163.

المنارة للاستشارات
ww

هذا المرح إلّا بتجسيد صورة الحركة فيه، ذلك أن طبيعة الطّفل هي الحركة، فهو يكره الأشياء الجامدة؛ لذلك عمد المشتغلون على الأدب الرقمي الطفلي إلى أنسنة الجمادات لإضفاء الحركية عليها، وعادة ما تتمظهر صورة الحركة في اللّعب، والتّحول من الثّبات إلى التّمايل والميسان بفعل عناصر الطّبيعة كالنّسيم مع الأزهار، والرّياح مع الأشجار، وهو الاتجاه الذي تبنته الكاتبة عائشة المؤدّب في قصّتها باستعمال تقنية البوربوينت، حيث استخدمت خلفية ملونة على شكل ورقة مطوية؛ وحتى يمكن للطفل متابعة قراءتها دون صوت، وهي من حرية الاختيار عند المتلقي الصغير استعملت اللونين الأبيض والأصفر لقراءة الكلمات عليها بسهولة، وبكلّ حرية، لأنّ الطفل يكره التّوجيه الصارم والوعظ الممل، ولا يستجيب للقيود. كما استخدمت حجما عريضا للخطوط التي تتناسب مع الخلفية المستخدمة، وتتناسب مع مستوى النّظر عند الأطفال مع استعمال كثير من الحركات الإعرابية.

– المشاركة والتّفاعل:

وهو جوهر الأدب التّفاعلي الموجه للأطفال، وذلك من خلال إتاحة القصة كجنس أدبي رقمي على شبكة الأنترنت، أو على وسيط تكنولوجي، ونظرا لشكل قصة (الغابة السعيدة) التي تبدو في شكلها تقليدية، فإنّ الطفل المتلقّي ليست له إمكانية تغيير طريقة سير القصّة، ولكنّه سيتفاعل مع القصة استجابة لمجموعة الأسئلة التي تطرحها الكاتبة في نهاية كل حدث جزئي، والأجمل في ذاك أنها تقطع صوت الراوي بعد كلّ سؤال لفترة زمنية؛ لتجعل الطفل المتلقي يتفاعل مع محيطه الذي يقدّم له في شكل لعبة لغزية بالأشكال المعروضة أمامه، ومحاولة التّعرف عليها، بجعل ذهنه متيقظا ونشطا حتى انتهاء أحداث القصة. وكردّة فعل تفاعلية يمكن للمتلقي الصغير التّدخل أيضا باستدعاء الكاتبة عن

المنارة للاستشارات
ww

طريق صفحتها الإلكترونية واقتراح التغيير الذي يراه مناسبا أو النهاية التي كان يأملها. وما يعاب على الكاتبة في هذا المقام أنها لم تقنّن قصتها التّفاعلية ومرحلة معيّنة من مراحل الطّفولة.

الخاتمة والنتائج:

ونخلص في خاتمة هذه الرحلة البحثية القصيرة التي أزعم أنها ستبقى مفتوحة، لأنّ موضوع الأدب الرقمي بعامة، والموجّه منه للأطفال بخاصة، موضوع استشرافي يحتاج إلى مقاربات مفهومية أوسع والبحث أكثر في حقول تنظيره، إلى جملة من النتائج والاقتراحات وفق الآتي:

– الأدب الرقمي الموجه للأطفال، أدب جديد جدّة الأدب الرقمي بعامة، وقد تعدّدت مفاهيمه ومصطلحاته؛ لأنّه لايزال يبحث عن موقع له على خارطة الأدب، وإن افتكّ صك الاعتراف على هذه الخارطة، فهو لايزال دون توقيع رسمي، ودون ختم نقدي، يرسم معالمه.

– الأدب الرقمي الطفلي أثبت وجوده كظاهرة في ظل حتمية العصر التكنولوجي، التي تبنت بالضرورة حوسبة الخطاب الأدبي الموجّه للطفل، عبر الوسائط الإلكترونية، وباستعمال كل المؤثرات التّقنية ومعطيات عصر المعلوماتية، الأمر الذي جعله يكسر النّمطية الورقية، إلى التّلقي الرقمي في ثلاثية تشاركية تتكون من المؤلف والنّص والمتلقي، وهي بدائل طبيعية بالنظر إلى النقلة المعرفية المعاصرة؛ التي قد تمنحه الاستقلالية، بعد جمع شتاته المفهومي المتناثر عبر جغرافيات فكرية وثقافية.

– نزعم أنّ مصطلح الأدب التفاعلي هو الأقرب لتسمية الأدب الرقمي الموجه للأطفال، لأنّ التفاعلية تتمظهر في الجماليات التقنّية التي تتوافق وميولات الأطفال، وتمنح النص طاقة إبداعية فنّية جديدة، لجعله ساحة للحوار مع الأطفال، باستقطاب المقروئية والمشاهدة وإعادة الإنتاج، وبالتالي توفير بيئات للتعاون والتّشارك والتفاعل، حيث الصور والألوان، والأصوات والتّصاميم الجذّابة، والرسومات المتحرّكة والتفاعلات الاجتماعية والتّراسل وغيرها.

المنارة للاستشارات
ww

– نقترح أن تكون برمجة الأدب التفاعلي الطفلي في إطار مشوّق وممتع من حيث الحركة والصوت واللون والإخراج المحترف، واختصار المضمون الورقي المحَوّل إلى مشاهد قصيرة حتى لا نثقل كاهل المتلقي الصغير ولا نشتت انتباهه وتركيزه. وأن يتناسب المضمون مع المرحلة الموجه إليها، والتي يجب أن تُحدّد على صفحة التّقديم أو الخلفية على الشاشة.

– على الرغم من أنّ طفل اليوم أصبح عالِما صغيرا بمعطيات التكنولوجيا، لابد من تبسيط آليات تشغيل الوسيط وتسهيل استخداماته، وتقديم المنتوج الإلكتروني كهدايا مجانية للأطفال، وبخاصة ما ارتبط منها بالتعليم.

– والأهم من كلّ ذلك تخصيص مساحة للتفاعل من قبل الأطفال لإبداء آرائهم، والردّ على التّساؤلات، وتكملة ما ينقص، وتغيير ما يجب تغييره، وتقديم المقترحات...

– وأخيرا أنبّه لخطورة الإدمان، وأوصي بضرورة المراقبة، فليس كلّ ما يقدّم للطفل عبر الوسائط التكنولوجية هو بالضرورة خطاب بريء، وهذا ما تجليه الندوات والملتقيات والأيام الدراسية على مستوى المؤسسات الجامعية.

المصادر والمراجع:

أولا– الكتب

1– إبراهيم أحمد ملحم: الأدب والتقنية مخل إلى النقد التفاعلي، ط1، عالم الكتب، الأردن، 2013.

2– إبراهيم أنيس: الأصوات اللّغوية (د، ط) مطبعة نهضة مصر، مصر (د، ت).

المنارة للاستشارات

ww

3- أحمد زلط: أدب الطّفل العربي دراسة معاصرة في التّأصيل والتّحليل، ط1، دار هبة، مصر، 1998.

4- إسماعيل الملحم: كيف نعتني بالطّفل وأدبه، دار علاء الدّين، ط1، دمشق، 1994.

5- آشتي شوكت: القيم الاجتماعية في أدب الأطفال، ط1، دار النضال، (د، ب) 1999، ص:64.

6- أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال فنّ المستقبل، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2010.

7- إياد إبراهيم فليّج، وحافظ محمد عباس: الأدب التفاعلي الرقمي، ط1، دار الكتب، بغداد، 2011.

8- جمبل حمداوي: الأدب الرقمي بين النّظرية والتطبيق، ج1، ط1، شبكة الألوكة، 2016.

9- الجمّوسي جوهر: الثّقافة الافتراضيّة، ط1، الشركة التونسية للنشر، تونس، 2006.

10- زهور كرام: الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات ثقافية، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.

11- زينب سالم أحمد: الطفل العربي والثقافة الإلكترونية، ط2017، دار أطفالنا للنشر، الجزائر، 2017.

12- سعيد يقطين: من النّص إلى النّص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005.

13- سمير عبد الوهاب أحمد: أدب الأطفال (قراءات نظرية ونماذج تطبيقية) ط2، دار المسيرة، عمّان، 2009.

المنارة للاستشارات

ww

14- شاكر عبد الحميد: التفضيل الجمالي (دراسة في سيكولوجية التّذوق الفنّي) المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت 2001.

15- عبد اللطيف الصّوفي: فن القراءة، ط2، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

16- عبير سلامة: النّص المتشعب ومستقبل الرواية، (د، ط) هيئة الكتاب المصرية، مصر، 2008.

17- فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي: ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006.

18- محمد السيد حلاوة: الرعاية الثقافية وأدب الطّفل(مدخل إلى أدب الطفل) (د، ط) دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، مصر (د، ت).

19- مريم سليم: أدب الطفل وثقافته، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2001.

20- مشتاق عباس معن: ما لا يؤديه الحرف. نحو مشروع تفاعلي عربي للأدب، ط1، دار الفراهيدي، بغداد، 2010.

21- هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال (د، ط) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988.

ثانيا– المجلات والدوريات والمواقع الإلكترونية ورسائل الدكتوراه

1- أحمد قرني: كتابة جديدة لطفل المستقبل، مجلة: الروافد الرقمي (مِنَصّة إلكترونية ثقافية تفاعلية) متوفر على الموقع: http://arrafid.ae، تاريخ الرفع: 28-01-2019.

2- خديجة باللودمو: الأدب الرقمي العربي الموجه للأطفال (دراسة في المنجز النقدي) رسالة دكتوراه مخطوطة، جامعة ورقلة، 2017-2018، ص:107.

3- سرديلت سعيد يقطين، متوفر على الرابط : http://www.saidyaktine.net، تاريخ الرفع: 25-01-2019.

المنارة للاستشارات

ww

4- السيد نجم: التقنية الرقمية ودورها في أدب الطفل، ورقة بحثية: مؤتمر (أدب الاطفال بين التراث والحداثة) أيام 20-21-22-/2014/05، الفيوم، مصر، متوفر على الموقع: https://middle-east-online.com، تاريخ الرفع: 22-01-2019.

5- طارق زيناي: إشكالية الأدب الرقمي. قراءة في الوسائط التواصلية، مجلة المدوّنة، العدد...مخبر الدراسات الدراسات الأدبية والنقدية، جامعة البليدة02، ديسمبر 2017ص:491.

6- علاوة كوسة: أدب الأطفال من الورقي إلى الرقمي، مجلّة قصيرة، (ركن: مقالات) متوفر على الموقع: https://www.qassira.com، تاريخ الرفع: 18-01-2019.

7- العيد جلولي: نحو أدب تفاعلي للأطفال، مجلة الأثر، مجلد: 10، عدد: 10، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 31-03-2011، ص: 238.

8- فطيمة ميحي: البنية الدلالية للشعر التفاعلي الرقمي، (رسالة ماجستير مخطوطة) جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012-2013، ص:29.

9- محمد المسعودي: أدب الطفل الرقمي بين فريقين، جريدة الرياض، 09 نوفمبر 2017، ركن مقالات اليوم، متوفر على الموقع: http://www.alriyadh.com/1636503، تاريخ الرفع: 20-01-2019.

10- محمد سناجلة: الرواية الرقمية تفرض حضورها على أدب الطفل في ضوء التطورات التقنية، جريدة الوسط البحرينية، العدد: 4975، 20-04-2016، متوفر على الموقع: http://www.alwasatnews.com. تاريخ الرفع: 21-01-2019.

المنارة للاستشارات
ww